مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة Journal of the University of Babylon for Humanities

المجلد 30/ العدد 8/ 2022 Vol. 30/ No. 8/ 2022

الصناعة في روما القديمة (753 ق.م- 426م): دراسة تاريخية

أسيل محمد ناجي

كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل

aseel.mohammed@uobabylon.edu.iq

تاريخ استلام البحث: 2022/ 5/25 تاريخ قبول النشر: 2022/ 6/13 تاريخ نشر البحث:14 /8/ 2022

المستخلص

تعد الحضارة الرومانية من الحضارات المهمة في تاريخ الشرق الأدنى القديم؛ لما لها من أهمية سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية، ففي الجانب الاقتصادي انصب اهتمام الرومان على العمل في الزراعة حتى غدت مهنة أساسية لكثير منهم وعماد الحياة الاقتصادية، بخلاف الصناعة التي كانوا ينظرون للعاملين فيها نظرة احتقار وازدراء، وفي هذا البحث سنتناول مراحل تطور الصناعة في روما القديمة (753 ق. م– 426 م) دراسة تاريخية.

مشكلة البحث:–الوقوف على الجانب الصناعي وتطوره في تاريخ روما القديم.

هدف البحث:– بيان أهمية هذا المجال الصناعي وما له من مردود اقتصادي مهم في تاريخ روما القديم، وسنطرح عدة تساؤلات ونحاول الاجابة عنها في دراستنا هذه:

هل كانت الصناعة مهنة أو حرفة محترمة ومرغوبة لدى الرومان القدماء؟

السبب الذي جعل الرومان يبتعدون عن الصناعة؟ وغيرها من الأسئلة التي سنحاول الاجابة عنها في متن هذه الدراسة.

منهجية البحث وأدواته:– المنهجية التي اعتمدناها في دراستنا هذه المنهج التاريخي الوصفي.

الكلمات الدالة:– روما، اقتصاد، كمبانيا، الزراعة

Industry in Ancient Rome (753 BC - 426 AD): A Historical Study

Aseel Mohammed Naji

College of Education for Human Sciences/ University of Babylon

Abstract

The Roman civilization is one of the most important civilizations in the history of the ancient Near East; Because of its political, economic and social importance, as the Romans focused on working in agriculture until it became a basic profession for many of them and the mainstay of economic life, unlike industry, as they viewed workers in this field with contempt and contempt .In this regard, we dealt with industry in ancient Rome (753 BC - 426 AD) in a historical study The history of its development and to show the importance of this field and its important economic return in the history of ancient Rome. We will raise several questions and try to answer them during our study:

Was industry a respected and desirable profession or craft among the ancient Romans?

The reason why the Romans moved away from the industry? And other questions that we will try to clarify in the body of this study.

Keywords: Rome, economy, Campania, agriculture

المقدمة

حظيت مدينة روما القديمة باقتصاد قوي على الرغم من بساطته؛ فقد ارتكز اقتصادها بشكل أساسي على الزراعة، بالإضافة إلى الإنتاج الصناعيّ بدرجة أقل، وتمثّلت أهم المحاصيل الزراعية بالحبوب والزيتون والعنب، وقد لجأ المزارعون في بعض الأحيان إلى التبرع بالمحاصيل الزراعية للحكومة بدلاً من الضرائب النقديّة، وتمكّنت روما من النهوض بقطاع التجارة عبر شحن الحبوب، والطعام، والمعادن الثمينة، والأحجار، ومستلزمات البناء إلى مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية عبر البحر أو طرق التجارة البرية التي أقامتها الدولة (وما زال بعضها مستخدم حتى اليوم)، وتبادلت العديد من السلع والمنتجات مع مناطق ودول أوروبا وآسيا وأفريقيا، وتمثّلت الواردات بالحرير القادم من الصين والشرق الأقصى، والمعادن من إسبانيا وبريطانيا، والقطن والتوابل من الهند، وغيرها من الواردات. ومثّلت صناعة التعدين الصناعة الأكبر والأبرز في مدينة روما القديمة، وساهمت هذه الصناعة في توفير المعادن للأدوات والأسلحة والأحجار اللازمة للبناء، ومن الصناعات الأخرى التي انتشرت في مُدن الإمبراطورية الرومانية (ومن بينها روما القديمة) صناعة الفخار، والأواني الزجاجيّة، والمجوهرات، والمنسوجات المصنوعة بشكل يدويّ.

ارتأينا في بحثنا هذا أن يقسم إلى أربعة مطالب نتحدث فيها عن مراحل الصناعة في روما القديمة وتطورها:-

المطلب الأول:- بدايات الصناعة في روما القديمة

المطلب الثاني:- الصناعة في العهد الملكي (753-509ق.م)

المطلب الثالث:- الصناعة في العهد الجمهوري (509-27 ق.م)

المطلب الرابع:- الصناعة في العهد الإمبراطوري (27ق.م - 426 م)

المطلب الأول: بدايات الصناعة في روما القديمة

بدأ الرومان مرحلتهم على أنقاض مدينة اثينا(*)[1] بعد حصول الدمار فيها وانهيار نظام الحكم الإغريقي من القبائل الجرمانية، ولم يتبق أي شيء لتركيبة الدولة الإغريقية وبدأ العمل بتأسيس الدولة الرومانية على أسس وأنظمة مختلفة تماما عن الأسس والأنظمة الإغريقية، إذ إنها متكونة من مالكي الأرض والعبيد وأقوام غير متحضرة نسبيا بالقياس إلى الحضارة الإغريقية وأهدافهم محصورة بالتوسع والسيطرة العسكرية والتوسع على حساب الشعوب وهذا ما لا يتناسب مع فلسفة الإغريق الذين سبقوهم وكانت طبقات المجتمع الروماني مكونة من النبلاء ومالكي الأرض والعبيد (عبيد الأرض) الذين كانوا يقومون بأعمال الخدمة المنزلية والإنتاج الحرفي[2].

اقتبس الرومان الأفكار الاقتصادية التي يتعاملون بها من الإغريق؛ كتقسيم العمل ومعاملة الملكية، وابتعد الرومان عن العلم والغوص فيه وانصب اهتمامهم على النشاط الاقتصادي الزراعي، إذ أبدى الرومان اهتمامهم بالجانب الزراعي؛ لإشباع حاجات المجتمع الذي يحتاج إلى المواد الغذائية بشكل مستمر وسبب اهتمامهم بهذا

* " اثينا :هي عاصمة اليونان وأكبر مدنها. ويعود اسم المدينة إلى أثينا إلهة الحكمة الإغريقية. تقع أثينا في جنوب اليونان على سهل أتيكا بين نهري إليسوس وكيفيسوس، محاطة من ثلاثة جهات بقمم جبال هي هيميتو وبينديلي ، وبارنيثاس تطل من الجهة الرابعة على خليج سارونيكوس الواصل إلى البحر الأبيض المتوسط".

الجانب؛ للحصول على الضرائب الزراعية في المستعمرات التي انضوت في سيطرتهم[3]. كانت الورش الصغيرة قد استخدمت عشرات العمال، أما في المصانع والورش الكبيرة فكان الأمر يختلف إذ استخدم مئات العمال[4]. وكانت الصناعات والعلوم عند الرومان أمورا" يقصد بها لغرض الزينة والبذخ ليس إلا، يقول لوسين (أحد الكُتاب اليونان): "**متى صرت مثل فيدياس النقاش الروماني تصنع ألف قطعة بديعة من النقوش لا يرغب أحد أن يتقبل مثالك؛ لأنك مهما بلغت من الخدمة لا يطلق عليك إلا لقب صانع ولست إذ ذاك غير رجل يعيش بكد يمينه** "[5].

من هذه المقولة يتضح لنا أن احتراف مهنة الصناعة في روما القديمة تكاد تكون محتقرة؛ لأن معظم سكان إيطاليا يعملون في الزراعة، وإن صح القول فهم شعب زراعي رعوي. واقتصرت الصناعة على سكان روما من الأقوام غير الإيطالية مثل الإغريق[1][6] والأتروسكانيين[2][7] وما يؤكد كلامنا هو قول المفكر السياسي الروماني (سينيكا) وهو: "**إنا وإن كنا نعبد التماثيل إلا أننا نحتقر صانعيها**[8].

لا ينحدر أكثر المشتغلين بالصناعة من أصل روماني، غير أن أولئك الصناع كانوا يقومون بتوفير الآلات والأدوات وغيرها من الاحتياجات التي كانت لازمة للزراعة والجيش والسفن الحربية والتجارية والحياة اليومية وإقامة المباني العامة والخاصة وإنشاء الطرق[9]. وكانت في روما شركات لأرباب الصناعات في عامة المدن حتى أن العواصم كان فيها عدة شركات وأعضاؤها في العادة من أرباب الصناعة الواحدة، وتسمى كل شركة بأسماء صناعات أعضائها، إذ كان في أفيز[3][10] شركة حلاجي الصوف، وفي جنيف[4][11] شركة الملاحين وفي ليون[5][12] شركة عملة البناء، وتقبل كل شركة في أعضائها أناسا من أهل صناعة أخرى وفي العادة كان لكل شركة تعبد ربًا وتقيمُ عيدًا للاحتفال به يحملون علمه، وتقوم هذه الشركة بدفن أعضائها متى ما ماتوا في مدافن لائقة، ولكل شركة مديران يختار أعضائها بالانتخاب من الأعضاء كلهم ويكونان بمنصب وكيل صندوق وأمينه، ولم يكن لهما أدنى سلطة على أرباب الصناعة [5،243،244].

وامتاز الأتروسكان بمهارة عالية في الصناعة فقد كانوا يصنعون الصورة المزخرفة التي كانت توضع على الضرائح كذلك امتازوا بصناعة سك العملة التي كانت مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس[13]، ونتيجة لتفوقهم في الصناعة فقد أخذوا ينافسون صناع اليونان أو اليونانيين في صناعتهم [13،21].

واشتهر الأتروسكان في صناعة الخزف والفخار الذي كان من اشهر الصناعات التي عرفوا بها وكانوا في بداية الامر يستوردونه من الإغريق وبعدها اخذوا يصنعونه، وامتاز الفخار بأشكاله وألوانه الزاهية فقد ظهر

1- "الإغريق : إن مصطلح بلاد الإغريق يضم في طياته العديد من الدويلات والمستعمرات التي كانت قائمة في أرض اليونان القديم ، اذ هاجرت العديد من القبائل من شمال أوربا الى جنوبها متبعة الأنهار والسهول ووصل البعض منها إلى جزيرة كريت وآسيا الصغرى فضلا عن بلاد اليونان" .

2- "الأتروسكانيين : الأتروسكان أو الأترويون (Eutruscan) هم قبائل يعود أصلهم إلى آسيا نزحوا إلى إقليم(تسوكانا) بشمال ووسط ايطاليا في الألف الأول ق.م، وقد بلغت أوج قوتهم سنة 500 ق.م إلا أن القرطاجيين هزموهم عام 474 ق. م ".

3- "أفيز : بيت أفيس (بالبرتغالية:Aviz) .عائلة برتغالية اقتصادية" .

4 "جنيف : مدينة تاريخية في جنوب غربي سويسرا وهي عاصمة كانتون جنيف، تقع على النهاية الغربية لبحيرة جنيف، حيث ينبع نهر الرّون ، هي ثاني أكبر مدن سويسرا وأكبر مدن الجزء الناطق بالفرنسية. قام الرومان في عام 50 ق.م. تقريباً مستعمرة حيث تقع جنيف الآن" .

5- "ليون : إحدى المدن الكبرى التي تقع في الدولة الفرنسيّة وهي العاصمة الإداريّة لمقاطعة الرون الموجودة في الجهة الجنوبيّة الشرقية لدولة فرنسا".

الفخار الاسود والخزف الملون، أما في القرن السابع ق.م فقد استخدموا الأسلوب الكورنفي في صناعتهم للفخار إذ صنعوا من الفخار العديد من الأشكال والتحف والأباريق، وفي القرن السادس (ق.م) استخدموا الأسلوب الأنثوي في الفخار وكان يزروقونه باللون الأحمر. كذلك اشتهر الأتروسكان في صناعة الأسلحة المختلفة، كالدروع والفؤوس والمعاول والأجرات والمعالق ويذكر أن الأتروسكان قاموا بتزويد جيش القائد (سبيسون) الأفريقي ببعض الأسلحة الضرورية التي كان يحتاجها جيشه، وصنعوا الرحى والسفن وقد احتلت صناعة الحلي مكانه مرموقة عندهم فحافظت المدن الأتروسكية على التفوق الصناعي الذي اشتهرت به حتى بعد سيطرتها على روما[14].

المطلب الثاني/الصناعة في العهد الملكي (753-509ق.م)

استمر العمل بالزراعة التي عُدت النشاط الرئيس لعدد كبير من سكان إيطاليا وبالتحديد الأقوام غير الإيطالية من الإغريق والأتروسكانيين، ولم تتجه إلى الصناعة إلا بخطى وئيدة شديدة التمهل فظلت أكبر المراكز الصناعية خارج العاصمة الكبرى في كمبانيا[6][15] وأتروريا[7][16]، إذ كانت أنشطة الصناعة والتصنيع قليلة أو منخفضة وأكبر تلك النشاطات هي المناجم ومحاجر الحجارة التي كانت توفر المادة الأساسية لبناء المباني في ذلك العهد، أما في مجال التصنيع فكان الإنتاج قليل نسبيا[9،21].

إن الصناعتين اللتين اشتهرت بهما كمبانيا هما: صناعة الأدوات البرونزية والفضية وصناعة الأثاث، وظهرت بعض دور الصناعة المتخصصة في الغزل والنسيج، أما أرتيوم في أتروريا فبدأت تنتج أنواعا ممتازة من الآنية الفخارية ذات الطلاء اللامع الأحمر اللون، وعرفت باسم (آنية ساموس) وبعض هذه الآنية يصنع في قوالب ويزخرف بنقوش بارزة مثل الآنية المعدنية، أما البعض الآخر فقد كان يصنع بعجلة الفخراني إلا أنها تخلو من النقوش البارزة وقدر لهذا النوع من الآنية الفخارية بالانتشار في أنحاء روما كلها ولاسيما في ولاياتها الغربية[17].

مع ذلك لا يوجد شيء مثير للاهتمام في مجال الصناعة الإيطالية في العهد الملكي ولم تشهد تقدمًا ملحوظًا وهذا يدل على أنها تخلفت عن ركب التطور الذي شهدته الزراعة والنشاطات المالية والتجارية ويعزى الفضل في تقدم النشاط الاقتصادي إلى الإغريق جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وتلاميذهم من الإيطاليين الساكنين في كمبانيا وأبوليا[8][18] والمدن الاتروسكية[19].

وعلى الرغم من اهتمام القسم الأعظم من السكان بالزراعة، إلا أنه لم يمنع من قيام بعض الصناعات لا سيما في المدن الكبيرة بحكم الحاجة الملحة إليها، ولعل في مقدمة تلك الصناعات صناعة الآجر الذي تزايد الطلب عليه بشكل ملحوظ بعد التوسع العمراني الذي حدث في المدن الكبيرة فأصبحت صناعة الآجر من الصناعات التي تدرّ أرباحا طائلة على مالكيها وأصبحت صناعته حكرا على مصانع روما، بينما كانت الطبقات العليا الثرية

6- كمبانيا: يقع إقليم كمبانيا إلى الجنوب من إقليم لاتيوم .
7- إترووريا: تعرف في النصوص اليونانية واللاتينية بتيرانيا، كانت بمثابة منطقة في وسط إيطاليا .
8- أبوليا: هي منطقة من إيطاليا تقع في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة من البلاد، ويحدها البحر الأدرياتيكي من الشرق، والبحر الأيوني من الجنوب الشرقي ومضيق أوترانتو وخليج تارانتو من الجنوب.

بحاجة إلى الأواني الفخارية والزجاج والمصنوعات الفضية والأثاث مما تنتجه الشركات الإيطالية والغالية، ومن الصناعات الأخرى التي تزايد الطلب عليها كانت الصناعات المرتبطة بأعمال الزراعة وما يحتاجونه المزارعين من أدوات في إتمام أعمالهم اليومية في مزارعهم من فؤوس وأدوات معدنية وطرادات ومحاريث وقزانات ودلاء وأوانٍ فخارية [20] وأحرزت صناعة الفخار والبرونز والحديد قدرا من التقدم في هذا العهد؛ لعل ذلك يعود إلى إنشاء نقابات المهن أو العمال الأحرار المشتغلين في صناعة الفخار والمعادن والجلود والأخشاب وغيرها من الصناعات[88،89،9].

المطلب الثالث/الصناعة في العهد الجمهوري (509-27 ق.م)

عند الحديث عن الاقتصاد وتطور الصناعة في العهد الجمهوري الروماني، نرى أنه على الرغم من التطور الكبير في إعلاء مكانة روما في تلك المرحلة وأهميتها؛ كونها أصبحت العاصمة السياسية لشبه الجزيرة الإيطالية فلم يصحب ذلك تطورا اقتصاديا، كان الرومان شعبا زراعيا وانهماكه في الحروب لم يترك له مساحة كافية لتطوير اقتصاده وبنجاح الحروب الرومانية زادت رقعة أراضيه التي قد امتلكها البطارقة وقاموا بتأجيرها[21].

لم تشهد إيطاليا إلا تغيرات قليلة في مجال الصناعة في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، إذ استخدموا جانبا من الثروة الفردية الجديدة في إقامة منشآت عامة في مدينة روما واستخدموه في إقامة منشآت خاصة وأدى هذا الازدهار إلى انتعاش الحرف المتصلة بالبناء، فمدينة كابوا[9][19،21] ظلت مزدهرة وتمارس بجانب صناعتها الآنية الفخارية والبرونزية صناعتين جديدتين هما صناعة الأثاث والعطور، ونمت أيضا صناعة النسيج في بومبي نموا كبيرا وأصبحت كمبانيا المركز الصناعي الرئيس في روما في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد ترتب على انتشار الضياع الكبيرة واتجاه أربابها إلى غرس الكروم والزيتون؛ لازدهار صناعتي النبيذ وزيت الزيتون ومن ثم ازدهرت صناعة الآنية الفخارية اللازمة لتعبئة النبيذ والزيت. وعلى الرغم من اتساع نطاق تجارة إيطاليا الخارجية إلا أن صادراتها كانت طفيفة ماعدا صادراتها من مصنوعات كابوا البرونزية ومن النبيذ وزيت الزيتون، في حين استوردت كميات كبيرة من القمح لصناعة الخبز فضلا عن أغلب إنتاج المناجم الإسبانية من الذهب والفضة[22].

لم يكن المجتمع الروماني في هذا العهد مجتمعًا استهلاكيًا؛ لأن معظم الناس الأحرار كانوا فقراء جدًا بحيث لا يمكنهم توفير سوق لأي شيء سوى العناصر الأساسية، في حين أن الأسر الأكثر ثراءً تمتلك حرفيها من العبيد عمومًا لإنتاج وإصلاح أي أدوات ومعدات ضرورية فاقتصر إنتاج واستهلاك المواد المصنعة إلى حد كبير على العناصر العملية اليومية من الحرفيين في المنطقة المحلية وكانت السلع الاستهلاكية التي ينتجونها مثل المنسوجات والأحذية والأثاث والفخار والمواد الزراعية، مهمة لسير المجتمع بشكل عام إلى جانب المواد الغذائية

9- كابوا : وهو أحد المرافئ الرئيسة التي اتخذها الأتروسكان لتجارتهم والتوسع بها عن طريق هذه المدينة فهي من المدن التي سيطر عليها الأتروسكان، والتي تقع جنوب إقليم كمبانيا .

مثل الخبز؛ وكانت الصناعات الخدمية مثل الفيرز (لمعالجة المنسوجات وتنظيف الملابس الصوفية) والبنائين أيضا جزءًا أساسيًا من حياة المدينة والأدوار التي كان العبيد يعملون فيها بكثافة. بينما أنتجت معظم السلع للاستهلاك المحلي، تخصصت مناطق معينة في إيطاليا في إنتاج عناصر محددة، وكان السيراميك من (كاليس في كامبانيا وأريتيوم في أتروريا) ذا قيمة عالية. وتشهد النقوش على العناصر الفخارية التي أجرايت قبل (220 سنة) في كامبانيا في مدينة كاليس على مشاركة العبيد (أو المحرّر) في صنعها، (قد يعني مصطلح العبد في النقوش)[23].

إذ اشتهرت كاليس بصناعة الفخار، وجاء في ذلك ما نصه: "**طبق باتيرا من تاركويني في أتروريا، معلنة أنها صنعتها ريتوس غابينيوس، عبد غايوس، في كاليس. "عبد آخر لغايوس"، كايسو سيربونيوس، نقش على باتيرا أنه صنعه في كاليس في حي إسكويلين**". وهناك وعاء آخر من الطين يحمل نقشاً من " **Marcus at Cales**" الذي يصف نفسه على وجه التحديد بأنه عبد منزلي ومن ثم يعمل في شركة عائلية [24،263]. ظلت كابوا مركزا رئيسا للمصنوعات البرونزية وتطورت في العهد الجمهوري بعد أن أخذ صناع الفخار في كمبانيا وأبوليا في القران الرابع (ق.م) يقلدون الأتيقية المصبوغة بالألوان، وكانت المصنوعات الأتروسكانية من المعادن والفخار تلقى سوقًا رائجًا في روما وقد تقدمت بعض المدن في إقليم لاتيوم تقدمًا كبيرًا وملحوظًا في صباغة الأدوات الذهبية والفضية وزخرفتها [19،102،103].

المطلب الرابع/ الصناعة في العهد الإمبراطوري (27ق.م – 426 م)

لم يكن للوحدة السياسية في روما في العهد الإمبراطوري أن تكتمل دون أن يتحقق لها أدنى حد من وحدتها الاقتصادية والاجتماعية لتشد بين أطراف هذه الوحدة، وهذا لا يعني أن تلك الوحدة لم تتحقق في هذا العهد؛ بل لم تتهيأ لها الظروف الملائمة لتحقيقها فقد انصب الاهتمام بإشباع الحاجات المباشرة لروما عن طريق احتكار خيرات وثروات البلدان المفتوحة، بينما بدا التطور والتغير في العهد الإمبراطوري بشكل واضح في هيكل الإمبراطورية العام خلافا للعهد الجمهوري بعد أن عرفت كيف تستغل الظروف، وأهم تلك التطورات هو استتباب السلام وانتظام الإدارة في الولايات. وكان العامل الرئيس في الحياة الاقتصادية في العصر الأول من عهد الإمبراطورية الرومانية بكل تأكيد (التجارة) التي ساعدت على ازدهارها عدة عوامل، منها: الهدوء والاستقرار والتدرج في فتح الأسواق التجارية الجديدة الآمنة في الولايات التابعة للإمبراطورية[25].

وكان ازدهار التجارة عاملا مهما في انتعاش الكثير من الصناعات وظهور العديد من الشركات في العهد الإمبراطوري ففي ما يتعلق بصناعة أدوات المائدة تصدرت هذه الصناعة في أيام الإمبراطور أغسطس (31ق.م–27م)[10] [320،15] بسبب اتساع استخدامها على أيامه وصنعت أدوات المائدة في المجمل من الفخار المزجج وبأشكال متنوعة متقنة الصنع حملت كل قطعة اسم المدينة التي صنعت فيها واسم صانعها، وكان المصمم حِرفيًا مدربًا يمكنه عرض أشكال متنوعة وينحتها في الطين ويمتلك ذوقًا رفيعًا في تكوين مختلف الأنماط[21، 119].

10 - أغسطس : هو لقب منحه مجلس الشيوخ للإمبراطور اكتافيوس ومنح بموجبه سلطات إدارية وعسكرية.

وتركزت صناعة أدوات المائدة في ثلاث مناطق: Puteoli، في Arretium، وفي وادي Po[11][26]، إذ وفرت هذه المناطق الطلب الكامل على أدوات المائدة الجيدة إلى حد ما في جميع أنحاء الإمبراطورية، باستثناء الجنوب الشرقي فقط ويُشار إلى حجم الإنتاج بالعدد الكبير من العمال العاملين في شركات معينة وعلى سبيل المثال، قدم كورنيليوس أسماء حوالي أربعين مصممًا ويمكن لمصمم واحد أن يحتفظ بعدد كبير من الخلاطات والخزافين وعمال الأفران؛ لأنه –على سبيل الافتراض– قام بصنع القوالب ووضع التصاميم فقط. وكان لدى Calidius Strigo ما لا يقل عن عشرين مصممًا، وكان Perennius أكبر عدد من المصممين، وكانت هناك عشرات الشركات الأخرى ذات النسب الجيدة في Arretium. وأخيرًا وليس آخرًا، اكتشف مدى الإنتاج الضخم الذي يهدف إلى التجارة الواسعة في إنشاء مصانع فرعية في بلاد الغال وأماكن أخرى، وقد أثر هذا الإنتاج على المصانع المنزلية بل قام بتدميرها[21، 119]. ومن الصناعات الأخرى التي اشتهر بها العهد الإمبراطوري كان صناعة المصابيح الخزفية وكان ينتجها مصنع (فورتيس) الكائن في شمال إيطاليا التي احتكرت في أول الأمر صنع المصابيح الفخارية التي فقدت سوقها العالمية في القرن الثاني في ما بعد، إذ استعيض عن إنتاجها في مختلف الولايات بمصابيح على الطراز نفسه من إنتاج محلي، بل إن المقلدين كانوا يحاكون أحيانا العلامات التجارية المميزة لإنتاج هذا المصنع، في ما انفردت (أكوليا)[12][27] بصناعة أدوات الزينة من الكهرمان، واستوردت المواد الأولية التي تصنع منها مرايا صغيرة دقيقة الصنع وصناديق، إذ كانت إيطاليا تصدر كميات هائلة من المصنوعات والمنتجات إلى الغرب، وكان الفخار المنسوب إلى أرتيوم والأواني الفخارية المعروفة باسم (تيراسيجيلاتا) شائعة مدة ما في السوق العالمية من بريطانيا شمالًا إلى شواطئ البحر الأسود شرقًا.[111،109،27، 112، 238].

وأبدعت مدينة كمبانيا في استخدام ما توافر لديها من زيوت جيدة في صنع العطور وقامت أيضا بإحياء صناعة الحلي تلك الصناعة القديمة التي طالما ما كانت مزدهرة في العصر الهلنيستي[13][28] وفي العصر الإمبراطوري أحرزت إيطاليا تقدمًا سريعًا في صناعة الملابس الصوفية إذ استخدمت لهذا الغرض الأصناف الجيدة من الأصواف المجلوبة من جنوب إيطاليا، ولم تنفرد كمبانيا وأتروريا وحدهما في النهوض بالصناعة الإيطالية في العصر الأغسطي، إذ ظهرت أكوليا التي ما لبثت أن أصبحت مركزا مزدهرًا لقيام كل من الحياة التجارية والصناعية في الشمال، فبفضل الخصائص الفريدة الموجودة في رمال أكوليا فتحت الآفاق الواسعة من الإمكانيات أمام تصدير الزجاج المصنوع محليا والصناعات الخزفية، وقد ساعدت صناعة البرونز القديمة في

11- وادي Po: سهل واسع تحيطه جبال الألب من ثلاث جهات، الشمال والشرق والغرب، وتكاد تفصله عن أوربا، يجري فيه نهرا: أديجي ونهر ألبو الكبير .

12 أكويليا: بالإنجليزية (Aquileia) مدينة رومانية قديمة في إيطاليا على رأس البحر الأدرياتيكي على حافة البحيرات، على بعد 10 كيلومترات (6 ميل) من البحر، على نهر ناتيسو (ناتيسون حاليا) الذي تغير مساره إلى حد ما منذ العصر الروماني.

13 العصر الهلنستي :مدة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تذخر بالكثير من مظاهر الحضارة في ذلك الحين. وقد بدأت بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 ق.م، واستمرت حوالي 200 سنة في اليونان وحوالي 300 سنة في الشرق الأوسط. ويستخدم اصطلاح هيلينستية؛ لتمييز هذه المدة عن المدة الهلينية وهي مدة الإغريقيين القدماء التي اعتبرت أوج عبقرية وعظمة الفكر والعلوم والفلسفة الإغريقية في ظل الامبراطورية الأثينية.

شمال غربي إيطاليا فضلا عن وفرة النحاس والفضة في المناجم المتاخمة في نوريكوم[14][29] وريتيا[15][30] ودالماشيا[16][31]، على تحفيز النشاط لدى صناع البرونز والفضة وكشف الذهب على مقربة من فيرونوم[17][32] الفرصة السانحة أمام الصائغين الذين كانوا يعملون بالأحجار الشبيهة بالكريمة، ومن ثم فقد تحولت أكوليا شيئًا فشيئًا من مدينة اقتصر عمل سكانها على الاشتغال بزراعة الكروم وإنتاجه والعناية بالتجارة إلى أحد مراكز الصناعة الرئيسية [25، 114،115]. أما في مجال صناعة النسيج فقد انتجت إيطاليا بعض الأصناف الجيدة من الأقمشة الصوفية ذات الألوان الطبيعية فضلا عن الملابس البسيطة التي تصنع لغرض الاستخدام اليومي العادي ووصلت منتجاتها حتى أراضي إسكانديناوا وشواطئ بحر البلطيق، والدليل على ذلك ما عثر عليه من عملة رومانية، وما وجد في مقابر ذلك الإقليم من الفخار الروماني والآنية الزجاجية التي تعود إلى القرنين الأول والثاني[25، 217]. وفي هذا يقول سترابون Strabo[18][33]:" **ان بعض الاختراعات الرومانية في عهده قد زادت من إنتاج الزجاج إذ يشير إلى اكتشاف سر عجينة الزجاج التي من السهولة التعامل معها بمساعدة أنبوب النفخ إذ أحدثت هذه الطريقة ثورة في إنتاج الزجاج الصافي؛ لصنع الزجاجات والأشكال العديدة من الأكواب وتشكيل قوالب لكل مادة على حدة، ويبدو أن هذه العملية تستهلك عدد كبير من الأيدي العاملة؛ بسبب الرمل والطين المكون للقالب، ثم استخدام القالب الخارجي الدائم الذي يحتوي على النمط المجسم**"[21، 121]، قام صانعوا الزجاج الجديد إلى وضع أسمائهم بأحرف بارزة على النموذج ومطبوع باليونانية وكذلك باللاتينية وعلى ما يبدو أن عملية استخراج عجينة الزجاج لم تكن بالسهلة وذلك باستخراجها من رمال إيطاليا وبوزولانا، إذ يؤكد ذلك Strabo وبليني Pliny[19] [34]:" **بأن صانع الزجاج القديم واجه صعوبة كبيرة في العثور على الرمال التي تدخل في صناعة الزجاج**"**[21، 121].**

أما صناعة التحف والنفائس فقد تخصصت بها أيضا كمبانيا إذ كانت هذه الصناعة تحتاج إلى فنيين متخصصين لأعمال الفسيفساء والملاط ولوحات الجدران والظهارة، وحفلت قوائم الحرف والأعمال الفنية بشتى الأعمال الأخرى التي تحتاج إلى ورقات اكثر للحديث عنها. ومن الجدير بالذكر ان الإنتاج في المشاغل والمعامل قد انحصر بأيدي العبيد والاجراء من العمال وليس بأيدي اصحاب الاعمال الذي اقتصر دورهم على الاشراف فقط، وفي القرن الثالث شرعت الحكومة الرومانية قانون الإشراف على قطاع معين من الإنتاج الواسع النطاق (في الولايات الشرقية) الذي يختص بحاجات الجيش واطلق على تلك المصانع اسم (gynaocia)، وكانت غالبية

14 نوريكوم: هو الاسم اللاتيني للمملكة الكلتية أو اتحاد القبائل التي شملت معظم النمسا الحديثة وجزء من سلوفينيا. في القرن الأول الميلادي، أصبحت مقاطعة في الإمبراطورية الرومانية. تأسست المملكة حوالي عام 400 ق.م، وكانت عاصمتها في المقر الملكي في فيرونوم (Virunum) على ماغدلينسبيرغ .

15 ريتيا : مقاطعة رومانية

16 دالماشيا : مقاطعة رومانية، وإحدى أربع مناطق تاريخية في كرواتيا.

17 فيرونوم : Virunum. مدينة أسسها الرومان في زولفيلد اليوم في كارينثيا السويسرية. وكانت عاصمة مقاطعة Noricum والمستوطنة اللاحقة للمدينة على Magdalensberg في منتصف القرن الأول الميلادي.

18 سترابو Strabo : ولد سترابون في "أماسيا" في إقليم " بونتس" حوالي (64 أو 63 ق.م) ، ورث عن أسرته ثراءً كبيرًا مما مكّنه من القيام برحلاته الكثيرة ، كتب في الجغرافية التاريخية وزار مصر بين عامي (25 و24 ق.م) ، أي بعد استيلاء الرومان عليها.

19 بليني Pliny : كاتب ورحالة وجغرافي روماني، عاش في المدة ما بين (23 و79م) ، زار فيها مصر وغيرها من البلدان، ترك العديد من المؤلفات منها كتابه المعروف" التاريخ الطبيعي" في37 مجلدا، وتغطي موضوعاته علوم الفلك والتشريح والحيوان والنبات والجغرافيا والطب والمعادن وغيرها.

الأيدي العاملة في هذا القطاع من النساء اللاتي انصب عملهن على النسيج وصناعة الحبال، على العكس من أفران صهر الحديد التي اختص بها العمال من الرجال في المناجم إذ كانوا على درجة عالية من القذارة والفقر فضلا عن صانعي العطور والغطاسين الذي يصطادون الإسفنج بحبالهم المشدودة إلى أجسامهم والمناجل في أيديهم[20، 84،85]. وبالنسبة لصناعة الأسلحة كانت هذه الحرفة خاصة بعمال متخصصين في هذا المجال فهناك صانعي الدروع وصانعي السيوف وصانعي المنجل وصانعي الخوذات وما شابه، وكان لكل جيش مجموعة من الحدادين يكونون خلف الخطوط الأمامية ولم يتخصصوا بالحدادة فقط وصناعة المدفعية وصيانتها بل إلى اكثر من ذلك فقد كانوا يقومون بإصلاح الدروع والسيوف والخوذات ولتوفير نقاط الرمح بكثرة[35].

وفي أواخر عهد الإمبراطورية، وكما هو معروف، تولت الحكومة مهمة إنتاج جميع الأسلحة والدروع التي تحتاجها قواتها وأقامت الدولة مصانع كبيرة لهذا الغرض في العديد من المدن في جميع أنحاء الإمبراطورية. من ناحية أخرى، يبدو أن صناعة البرونز والنحاس قد طورت بشكل منظم وأصبح لها مصانع متخصصة بها على الأقل في كابوا. ففي نهاية عهد الجمهورية وفي أوائل عهد الإمبراطورية كان دائما ما تنتج كميات كبيرة من الأواني البرونزية المزخرفة مثل أوعية النبيذ، والأطباق، والمغارف والأوعية، ناهيك عن أواني المطبخ والمقالي، وحملت كل هذه المصنوعات أسماء المنتجين لها بشكل ملحوظ[21، 125].

وفي مجال صناعة المجوهرات لا يوجد دليل على أن الإنتاج كان كبيرا بهذا المجال؛ نظرًا لارتفاع أسعار المواد الخام لذلك نجد الخواتم والمعلقات والحلي المصنوعة من الأحجار الكريمة تُصنع وتُباع عمومًا في المتاجر الصغيرة، وكثيرًا ما نسمع عن أفراد يجلبون ذهبهم القديم أو أحجارهم غير المصقولة إلى صائغي الذهب؛ لإعادة صياغتها وربما صقلها أيضا لتبدو جديدة ولامعة، إذ كان الصاغة في بعض الأحيان من أصحاب الحرف اليدوية الذين يمتلكون موادهم الخام، ومن الحرفيين الجيدين ديوسكوريدس الذي استدعي من الشرق لعمل الختم الإمبراطوري، وهو فنان رفيع المستوى ومثال جيد للحرفيين اليونانيين والشرقيين الذين انجرفوا إلى روما مع موجة الثروة[21،127،128]. وفي مجال إنتاج الزيت الذي اقتصر تصنيعه في أيدي فئة خاصة؛ فلم يكن المزارعون الإيطاليون في ذلك الوقت على دراية تامة بعمليات التصنيع المعتمدة، أو ربما لم يسوق المنتج بعد ذلك بسهولة؛ لأن زيت الزيتون كان ما يزال شيئًا من الكماليات وباختراع المكبس اللولبي تمكنوا من تركيب معصرة زيت رخيصة وسهلة العمل في أي مزرعة إذ يقوم المزارع بضغط الزيت وتوزيعه على الأسواق أو المتاجر[21، 136].

أما صناعة الكتان فيشير (فتزف) إلى أن صانعي الكتان في تارسوس كانوا يؤلفون طبقة دنيا من سكان المدينة، وليس لهم حق التمتع بكامل حريتهم وأهليتهم في المدينة؛ فمن المحتمل أن صانعي الكتان كانوا من سلالة الأقنان الذين ارتبط أصلهم بالمصانع الملحقة بالمعابد، وقد أشار إلى الثورات التي قام بها عمال مصانع الكتان في تارسوس[20][36] والاضطرابات بين الحين والآخر في المدن اليونانية في آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان وفلسطين[25،245]. وهكذا أخذت سلع الإنتاج تدخل شيئًا فشيئًا في طور من البساطة وإخراجها على نمط واحد

20 تارسوس: جزء من المدينة التاريخية في مقاطعة مرسين، لديها قصة تعود إلى ما يقرب من 6000 سنة، كانت مستوطنة رومانية في العصر الامبراطوري التقى فيها مارك انطونيوس بكليوباترا.

سواء أكان إنتاجها في مصانع كبيرة أم في حوانيت صغيرة، أما الجمال الذي سيطرت روحه على الصناعة في العصر الهلينستي إذ كانت ما تزال سائدة في القرن الأول الميلادي، فقد اعتراها الذبول ثم خبت هذه الروح في القرن الثاني فلم تبتكر أنماطًا جديدة ولم تقتبس مبادئ زخرفية طريفة، في ما عدا استخدام بعض الأساليب والوسائل المستحدثة في صناعة الزجاج وإذا قارنا بين فخار اريتيوم[21][25،245] في صورته الأولى وبين الآنية والكؤوس الأولى مما كان يطلق عليه سيجيلاتا وتنتجه بلاد الغال وإيطاليا، وبين نظيراتها في القرن الثاني الميلادي نجد أن الأواني الجميلة والأباريق المصنوعة في أريتيوم لها بهجتها وبهاؤها المتألق، وآنية المائدة المحلاة بالنقوش الزخرفية البارزة والمصنوعة في القرن الأول هي آية في المهارة الفنية وما تزال جميلة جذابة، بينما نجد نظيراتها من الفخار الذي صنع في القرن الثاني لا روعة ولا جمال فيه، تعتريها الكآبة ويعوزها الابتكار وغلب عليها طابع التكرار لنفس الرموز والصور من الفن الزخرفي، ومع ذلك فهي لم تفقد متانتها وكونها تفي بالحاجة فالمنتجات الصناعية عم انتشارها بسرعة في شتى أرجاء العالم المتحضر ولازمها التوفيق في طرد المنتجات المحلية حتى في أقصى أطراف الإمبراطورية، وفي ما يخص حماية الصناعة فلم تتخذ الحكومة المركزية أي إجراء لحماية الصناعة الإيطالية؛ ولم يصدر أي تشريع في عهد الإمبراطورية تصح مقارنته بالتشريع الحديث الخاص بالعلامات التجارية وتسجيل حقوق الاختراع، فكان لكل فرد مطلق الحرية في أن يحاكي منتجات منافسه بل يدعيها لنفسه بطريق التزييف والتقليد، فعدم المركزية في الصناعة حال دون نمو الرأسمالية الصناعية في إيطاليا وأدى إلى تعرقل نمو المشروعات الصناعية الكبرى في الولايات.

الخاتمة والنتائج

في نهاية بحثنا توصلنا إلى عدد من النتائج يمكن إيجازها بعدة نقاط:-

1- اقتبست الأفكار الاقتصادية التي يتعامل بها الرومان من الإغريق؛ كتقسيم العمل ومعاملة الملكية، وابتعد الرومان عن العلم والغوص فيه، وانصب اهتمامهم على النشاط الاقتصادي والزراعي. وكانت الصناعات والعلوم عند الرومان أمورا يقصد بها الزينة والبذخ ليس إلا. فاحتراف مهنة الصناعة في روما القديمة تكاد تكون محتقرة؛ لأن معظم سكان إيطاليا يعملون في الزراعة وكان أكثر المشتغلين بالصناعة لا ينحدرون من أصل روماني.

2- كانت انشطة الصناعة والتصنيع العهد الملكي صغيرة وأكبر تلك النشاطات هي المناجم ومحاجر الحجارة التي وفرت المادة الأساسية لبناء المباني في ذلك العهد، أما في مجال التصنيع فكان الإنتاج صغيرا نسبيا.

3- اشتهر العهد الملكي بصناعة الأدوات البرونزية والفضية وصناعة الأثاث وظهرت بعض دور الصناعة المتخصصة في الغزل والنسيج، أما أرتيوم في أتروريا بدأت تنتج أنواعا ممتازة من الآنية الفخارية ذات الطلاء اللامع الأحمر اللون، وعرفت باسم (آنية ساموس)، واحتكرت روما صناعة الآجر والطوب.

21 أريتيوم: إحدى المدن الاثنتي عشرة في أتروريا بإيطاليا وقد زادت أهميتها وشهرتها بما كانت تنتجه من الفخار الأحمر الذي كان يطلق عليه سيجيلاتا.

4- برزت في العهد الجمهوري مدينة كابوا التي ظلت مزدهرة وتمارس بجانب صناعتيها الآنية الفخارية والبرونزية صناعتين جديدتين هما صناعة الأثاث والعطور، ونمت أيضا صناعة النسيج في بومبي نموا كبيرا وأصبحت كمبانيا المركز الصناعي الرئيس في روما في القرن الثاني قبل الميلاد، فضلا عن صناعتي النبيذ وزيت الزيتون واشتهرت كاليس بصناعة الفخار.

5- كانت أدوات المائدة الأكثر شيوعًا في أيام الإمبراطورية الرومانية، وكانت عبارة عن فخار مزجج باللون الأحمر ومزخرف وحمل اسم المدينة التي صنع فيها واسم الحرفي الذي قام بتصنيعها.

6- وكانت المصابيح الخزفية إحدى الخصائص الرئيسة التي اشتهرت بها إيطاليا في العهد الإمبراطوري وكان ينتجها مصنع (فورتيس) الكائنة في شمال إيطاليا، إذ كانت إيطاليا تصدر كميات هائلة من المصنوعات والمنتجات إلى الغرب.

7- أبدعت مدينة كمبانيا في استخدام ما توافر لديها من زيوت جيدة في تجهيز العطور وأخذت في إحياء صناعة الحلي، وأحرزت تقدمًا سريعًا في صناعة الملابس الصوفية، فضلا عن صناعة التحف والنفائس.

8- تولت الحكومة مهمة إنتاج جميع الأسلحة والدروع التي تحتاجها قواتها وأقامت الدولة مصانع كبيرة لهذا الغرض في العديد من المدن في جميع أنحاء الإمبراطورية.

9- وفي مجال صناعة المجوهرات فلا يوجد دليل على أن الإنتاج كان كبيرا بهذا المجال؛ نظرًا لأن المواد الخام كانت باهضة الثمن، أما صناعة الكتان فكان صانعيه يـــــــــؤلفون طبقة دنيا من سكان المدينة.

10- لكل فرد مطلق الحرية في أن يحاكى منتجات منافسه بل ويدعيها لنفسه بطريق التزييف والتقليد، فاللامركزية في الصناعة حال دون نمو الرأسمالية الصناعية في إيطاليا.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر

[1] Wells,John C.(1990)."Athens". Longman pronunciation dictionary. Harlow, England, Longman.

[2] القريشي، مدحت، تطور الفكر الاقتصادي، ط1، (دار وائل للطباعة والنشر، 2008).

[3] الخزعلي، جعفر طالب أحمد، تاريخ الفكر الاقتصادي (دراسة تحليلية للأفكار الاقتصادية عبر الحقب الزمنية، ط2 (د.مط، 2017)، ج2.

[4] Chris Scar ,the penguin historical atlas of ancient rome ,(London, penguin publishing house),1995.

[5] سنيوبوس،شارل، تاريخ حضارات العالم، ترجمة: محمد كرد علي،ط1، (العالمية للكتب والنشر، 2012).

[6] أ.بيري، تاريخ الإغريق آدابهم وآثارهم، تر: وائل يوسف، (جامعة الموصل، 1977).

[7] عاطف، محمد سعيد، تاريخ وآثار الرومان, (الأردن،2011م)، ص25؛ تاريخ هيرودوتس، تر: حبيب أفندي، (بيروت، مطبعة القديس جاورو جيوس)، ج1.

[8] عكاشة، علي وآخرون، اليونان والرومان، ط1، (دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، 1991).

[9] نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان، (منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب)،ج2.
[10] David B. Quinn (1979). England and the Azores, 1581-1582: Three Letters. UC Biblioteca Geral 1, p.213 ; Colin Martin; Geoffrey Parker (January 1999). The Spanish Armada: Revised Edition.
[11] الموقع الالكتروني هديل البكري https://mawdoo3.com.
[12] الموقع الالكتروني غادة الحلايقة https://mawdoo3.com.
[13] أيوب، رزق الله، تاريخ الرومان، (1996م)، ص21. https://www.noor-book.com.
[14] Raymond , Bloch the client: civilization of Etruscans , New york , cowls Book , P.62
[15] ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج9، ص7؛ عبود، عادل نجم ورشاد، عبد المنعم، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، (دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1993).
[16] Baracca, M. (1970). Atlante Storico, p.15 .(باللغة اللاتينية) 17-Novara: De Agostini.
[17] J. Toutain , the Economic life of the Ancient world."Introducing Puglia". Lonely Planet. Archived from the original on 1 July 2017. Retrieved 8 July 2017. (en.wikipedia.org/wiki/Apulia).
[18] أيوب، إبراهيم، التاريخ الروماني، ط1، (الشركة العالمية للكتاب، 1999).
[19] ورث، أ.ب. تشارلز، الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبده جرجس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، د.ط (مكتبة الأسرة، د.ت).
[20] Frank, Tenney, An Economic History of Rome, 2004 Originally published in 1927.
[21] جودة، محمد أحمد، القروض في روما في العصر الجمهوري، مقالة منشورة على شبكة ضياء، (Diae.net).
[22] توفيق، جهاد محمود وعبد الغفار،أحمد، تاريخ الرومان وحضارتهم،(شبكة الالوكة). (www.alukah.net).
[23] Matthew Dillon and Lynda Garland, The Ancient Romans History and Society from the Early, Vanderbilt Avenue, New York.
[24] فتزف، م. رستو، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة ومراجعة: زكي علي ومحمد سليم سالم، د. ط، (مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ج1.
[25] ايمار، أندريه، روما وإمبراطوريتها، تر: فريد دغر وآخرون، (لبنان، د.ط.، د.ت).
[26] الناصري، أحمد علي، تاريخ وحضارة الرومان من ظهور القرية حتى سقوط الجمهورية، د.ط، (القاهرة، دار النهضة العربية، 1976)،.
[27] The Oxford Classical Dictionary.
[28] Chaniotis, Angelos (2011). Greek History: Hellenistic. Oxford Bibliographies Online Research Guide. Oxford University Press.
[29] Mackensen, Michael (1975). "The state of research on the 'Norican' silver coinage", World Archaeology. 6 (3): 249–275.
[30] en.wikipedia.org.
[31] Frucht, Richard C. (2004). Eastern Europe: An Introduction to the People, Lands, and Culture...
[32] commons.wikimedia.org/wiki/Category:Virunum

[33] سليم، أحمد أمين، عبد اللطيف، سوزان عباس، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق القديم (4)، في حضارة مصر القديمة، (دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، د.ط).

[34] البعلبكي، منير، موسوعة أعلام المورد، ط 1، (دار العلم للملايين، 1992، بيروت).

[35] A caelator is mentioned in Notizie, (1912).

[36] https://ara.worldtourismgroup.com.